ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

البُنى الصوتيّة للفاصلة القرآنيّة في سورة الرّحمن (نغم الفواصل):

د. هارون مجيد
كلية الآداب واللــغات-جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف-الجزائر
البريد الالكتروني: majd1221@hotmail.fr

ملخّص البحث بالعربية:

إنّ اعتدال نسق الكلام العربي وحسن وقعه على الأسماع وصولا إلى الأنفس يقوم على توالي الأصوات و تناسبها (حسن التّأليف)؛ وما تتطلّبه من جهد ونفَسٍ وانسجام (قانون اِقتران الحروف). فبتوظيف صواتة كَلِمِ القرآن نُلامس ذلك الإيقاع التّمفصلي لأواخر آي القرآن الكريم .وهذا ما اِهتممنا به في بحثنا ،إذ أحصينا أهمّ البُنى الإيقاعيّة المتخلّلة **لسورة الرّحمن** وربطناها بالجانب الدّلالي (التّفسيري) محاولين اِستنطاق **"عروس القرآن"** مع التّركيز على أهميّة تكرار بعض الفواصل وعلاقتها بنفسيّة الملقي(المقرِىء) والمتلقّي(المستمع) والمعنى العام للسّورة الكريمة (الغرض المنشود منها).

ملخّص البحث بالفرنسية:

L'aisance de la parole dans la langue arabe et son impact positif sur l'auditeur sont du une bonne succession et une meilleure articulation des sons. Ainsi les règles de la prononciation et l'harmonisation des phonèmes.

En prononçant les mots corraniénes .on touche l'harmonisation des fins des « **ayatte** » et c'est ce que nous avons traité lors de notre recherche .nous avons donc recensé les structure harmonique de « **sorrat errahmane** ».que nous avons mis en relation avec leurs significations tout en essayant d'analyser le phonème chez **«arousse du coran ».**en insistant sur l'importance de la redondance des **joinctures** et sa relation avec l'esprit (état d'âme) de l'émetteur (lecteur) et du récepteur (auditeur) et le sens général du « **sorrat errahmane** ».

تمهيد:

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

نقع في القرآن الكريم على العديد من الآي التي تأسرنا بموسيقى ألفاظها ونبرات أصواتها، بل ونحسّ بالظّاهرة الموسيقيّة أوّلا في الفواصل التي أحكمها القرآن إحكاما، إذ تمتّد أحيانا اِمتدادا طويلا وأحيانا تكون معتدلة الطّول وأحيانا أخرى تكون قصيرة تعكس الجانب الدّلالي فتؤثّر في الجانب النّفسي للمتلقّي. فالتّناسب هو أنْ "يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار"[1]، ومن هنا نرى أهميّة التآلف قصد خلق نسج متناسق لا متنافر فأهمّ فائدة للتّناسب هي "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض ،فيقوى بذلك الارتباط والتّأليف حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[2] فما بالنا بالحديث عن كلام الله المنزّه إذ يتجاوز هنا الدّور المعهود إلى غاية الوصول إلى المقصد (الدّلالة العميقة)؛ فإنّ "النّظم القرآني يراعى في توزيع الأصوات وتأليفها ما يناسب المعاني والأغراض ونوع التّأثير الذي يريد إثارته في نفوس المخاطَبين"[3]وهذا ما يؤكّده كذلك مصطفى صادق الرافعي في قوله: "إذا اِشتدّت فأمواج البحار الزّاخرة، وإذا هي لَانَتْ فأنفاس الحياة الآخرة..." [4]فهذا ما يمكننا الحديث عنه بالنّسبة للمناسبة الصّوتية وأهمّ أغراضها أمّا الآن فلنا أنْ نلج قضيّة الفواصل القرآنية فما الفاصلة؟ وما مدى أثرها في إيقاعية سورة الرّحمن؟ .

تعريف الفاصلة:

لغة: لمادّة فصل في اللّغة العربيّة عدد من المعاني المتلاقيّة ترادفا أو تضادّا منها: "الفصل: دون ما بين الشّيئين، والفصل من الجسد: موضع المفصل، بين كلّ فصلين وصلٌ مثل ذلك: الحاجز بين الشّيئين، والفاصلة الخرزتين في النّظام، وقد فصل النّظم: وعقد مفصل أيْ جعل لؤلؤتين خرزة.ومنه الفصل: للقضاء بين الحقّ والباطل، وقريب منه: فصل من الناحيّة: أيْ خرج منها، ومنها التّفصيل: التّبيين ومنها الفصل واحد الفصول: أي القطع"[5] وهو كذلك "أواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر جُلُّ كتاب الله عزّ وجلّ واحدتها فاصلة"[6]، لكن ما يلاحظ هنا من خلال التّعريف الثّاني لابن منظور أنّه أقرب إلى الاصطلاح منه إلى اللّغة.**أمّا اصطلاحا:** يرى الزّركشي أنّ الفاصلة "تسمّى رؤوس الآي أو كلمة آخر الآية كقافية الشّعر وقرينة السّجع"[7] ويقول أبو عمر الداني[8]: "الفاصلة كلمة آخر الجملة"، ويرى البقلاني[9]: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني" ومن خلال كلّ هذه التّعاريف يمكننا القول أنّ الفاصلة ظاهرة صوتيّة قرآنيّة نسقيّة نجدها في القرآن دون النّثر والشّعر، إذًا فالفاصلة في القرآن هي: "كلمة آخر

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الآية، كقافية الشّعر وسجعة النّثر، والتّفصيل توافق أواخر الآي في حروف الروي أو الوزن ممّا يقتضيه المعنى وتستريح إليه النّفوس"[10].

مناسبة الفواصل تحقيقا لتناغم وإيقاع سورة الرّحمن:

لا يمكننا إنكار أنّ "هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن ما هي إلّا صورتان للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متّفقة مع آياتها في قرار الصّوت اِتّفاقا عجيبا يلائم نوع الصّوت والوجه الّذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، ونراها أكثر ما تنتهي بالنّون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمدّ وهو كذلك طبيعي في القرار"[11]،فسبحان الله الخالق المدبّر إذ جمع لنا بين ما هو طبيعي في الموسيقى وما هو طبيعي في القرار "والحقّ أنّ قيمة الفاصلة في بلاغة النّظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء، وما كان للقرآن أنْ يحافظ عليها ويختار بعناية فيأتي بها متمكّنة في موضعها ومستقرّة في نسقها لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته وتحقيق أهدافه، ولا شكّ أنّ للكلمة أو للجملة أو المقطع الذي تختم به الآية قيمة خاصّة، لأنّه عنصر يؤدّي وظيفة مزدوجة في نظم الآية: فهو من ناحية يتصل بالمعنى ويتمّمه ومن ناحية أخرى يتّصل بنظام الفواصل وبنسقها، ولهذا كان حظّه من العناية أكبر وهذا الحكم يظمّ الكلام المنظوم بأشكاله المختلفة"[12].

تنويع البُنى الإيقاعية لفواصل سورة الرّحمن:

تعدّدت البنى الإيقاعية في سورة الرّحمن، وفق ثلاث صور قد حدّدها آنفا عبد الملك مرتاض "يقوم الإيقاع الخارجي في هذه السّورة على إيقاع أو فونيم [آن] (ونرمز إليه بأبجديتنا الإيقاعية برمز cy) وقد تكرّر هذا الإيقاع في أواخر الوحدات الإيقاعية (الآيات سبعا وستّين مرّة من بين ثمان وسبعين، وهي جملة الآيات التي تشّكل مادّة هذه السّورة من حيث ألْفينا إيقاعا آخر يتبوّأ المقام الثّاني وهو إيقاع [آمْ] = CY، كما تفرّدت ثلاثة إيقاعات أخراة بتنغيم مختلف قليلا فسار كلّ إيقاع منها في اتّجاه [آر] ... [ون] ... [بين]"[13] . وفي حقيقة الأمر إنّ لفي هذا التعدّد حكمة إلهيّة تخدم الجانبين :أ-الدّلالي لآي السّورة الكريمة.ب-النّفسي للمتلقّي (المستمع فيستلذّها).

ولنا أن نرسم جدولا توضيحيا لتعدّد الفواصل الثلاث باختلافاتها*:

* الاختلاف هنا ليس بالّذي يقبح في قدسيّة القرآن الكريم بل المقصود منه التنّوع بين (آنْ- آمْ – آرْ) وحتى الشواذّ مثل (بين – نونْ)

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الآية من - إلى	نوع الفاصلة	عدد الآيات	الدّلالة العامّة والمهيمنة
من 01 إلى 09	آنْ	09	السماء وعلاقة الخلق بالميزان (التوازن)
من 10 إلى 11	أَمْ	02	النعّم وخلق الأرض
من 12 إلى 13	آنْ	02	نعم الأرض
من 14 إلى 15	آرْ	02	خلق الإنسان والجنّ
من 16 إلى 23	آنْ + بينْ	08	خلق البحر
24	أَمْ	01 (فاصل)	نعم البحر
من 25 إلى 26	آنْ	02	الفناء (مرحلة جديدة)
27	أَمْ	01 (فاصل)	بقاء الله عزّ وجل وحده فقط
من 28 إلى 40	آنْ	13	(جنّهم) يوم العرض والحساب
41	أَمْ	01 (فاصل)	العذاب والعقاب
من 42 إلى 71	آن + نون	30	(الجنة) نعم الجنّة والجزاء
72	أَمْ	01 (فاصل)	تحليل المحرّمات
من 73 إلى 77	آنْ	05	(الجزاء) صفات حور العين

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

78	آمْ	01 (فاصل)	الجلال والإكرام لله وحده فقط

فمن خلال الجدول نلحظ الإعجاز بصريّا ودلاليّا فنجد هناك نوعا من التّناسب والإيقاع من خلال ترتيب الآيات الأحاديّة وفق الفاصلة "آم" وهو نفسه ترتيب لخلق الله وفق مراحل منذ أولى بدايات الخلق من سماء وميزان ونِعَمٍ على الأرض وخلق للإنس والجنّ ثم البحر وما فيه وصولا إل الفناء ،وهو الحدّ الفاصل إذ يبقى الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له. ثم العرض والحساب فالعذاب والعقاب ومن ذلك الجنّة ونعيمها وكلّها بإذنه عزّ وجلّ فما للإنسان إلا أن يتّعض ويأخذ بالخيرات الحسان.نعود إلى تنوع الفواصل فنجدها تتوزّع وفق ترتيب محكّم كالأتي:

أ-بنية "آن":

فهذا الأخير مركّب من ألف ساكنة ونون ساكنة أيضا، ويبدو لنا أنّ "اِستحواذ هذه الألف اللّينة التي اِعتمدت عليها النّون الساكنة (باعتبار وجوب الوقف على أواخر الآي) في إيقاعها عبر هذه السّورة كان من المعجزات الإلهية"[14]، لذا نجدها "أمدّت القرّاء بألوان من التنغيم المؤثّر الأخّاذ نراه يستثير مشاعر السّامعين ويحدو بهم – بلا وعي – إلى ترديد هذه الفاصلة مع القرّاء في خشية غامرة وخشوع عميق"[15] وهذا بعد تكريرها سبع وستّون مرّة .

ب-بنية "آمْ":

إذ نجدها تكرّرت سبع مرّات و"حين نتكلّف الرّجوع القهقري نحو الحرف الثّالث لما قبل "آمْ" ... وجدناه ينتمي إلى الحروف الأكثر تواردا في العربيّة ... فصوت الميم نرجسيّ الدّلالة، لطيف الوقع"[16]، فكلّما حضرت الفاصلة "آمْ" نجدها حقيقة تفصل بين مراحل مختلفة لخلق الكون كما هو محدّد في الجدول أعلاه، فنجد هذا الفونيم يحكم "الرّبط بين الآيات السابقة واللّاحقة، فيسوق أنغامها المتسلسلة إلى نهاية تتوحّد عندها"[17] وهو ما نلمسه في آخر آية لسورة الرّحمن في قوله تعالى:﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

﴿ ﴾ الآية (78) من سورة الرّحمن. إذ يتوحّد كل شيء عند الخالق البارئ المصوّر ذو الجلال والإكرام.

ت-بنية "آلْ":

"فلم يتوارد هذا المقطع الذي تتشكل منه (فزيونومّية) البنية الإيقاعية الثّالثة إلاّ مرّتين اِثنتين في السّورة كلّها كالفخّار ...من نار"[18]، هكذا نرى كيف اِختار الله عزّ وجلّ من الكلمات ما أوقعت أصواتها تفاعلاً مفصليّا يوحي بالوضوح قصد إعطاء قيم تمييزيّة وتوضيحيّة ، وتنبيه الثّقلين من إنس وجنّ لما يمكنه فعله اِقتراناً بجرسيّة الأصوات ووقعها على أذن المرسل إليه وصولا إلى قلبه.

فبعد أنْ تقاذفتنا أمواج البحث والتنقيب حول كل ما يتعلّق بالتّناسب الصّوتيّ في القرآن الكريم و خاصّة في سورة الرّحمن، فها نحن نخلص إلى مجموعة من النّتائج عن طريق البحث والتّنقيب أهمها:

- هناك تجاذب مغناطيسي بين كلّ من الصّوت والدّلالة المتوّجين لإيقاعيّة سورة الرّحمن
- لتكرير الفواصل نغم وإيقاع خاصّ، فهو أوّل جزء من الموسيقى الكليّة، فضلاً عن إرادة الإبلاغ والعناية بالأمر.
- تتزوّد الحروف العربيّة وألفاظها بشحنات صوتيّة إيقاعيّة دلاليّة متميّزة، تجعلها تتفرّد عن باقي اللّغات الأخرى.
- الصّوت الدّليل النّاطق على كلّ مسكوت عنه، وقد يبوح لنا بأشياء توارت خلف حاجز الصّمت، وهذا ما لمسناه من خلال سورة الرّحمن وبالتالي نفسية المتلقّي.
- قد دبّ في روح النصّ القرآني نوع من الخفّة المتولدة عن تأثير التّنويع في البُنى الإيقاعيّة ، فهذه الأخيرة تعدّ من الأنسجة الأساسية التي توشّح النصّ القرآني معبّرة عن ما خفي وما ظهر من مجاهله.

هوامش البحث وإحالاته :

1.السيوطي عبد الرّحمن الحافظ جلال الدّين،الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: مرسي عبد الحميد،عوض هيكل، ط1، دار السّلام للطّباعة والنّشر،القاهرة،2008م ، ج03، ص 237.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

2. الزّركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن ، ج03، تحقيق: أبي الفضل الدّمياطي، ط01، القاهرة ، دار الحديث، 2006م ، ص26.
3. أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن _دراسة في النّظم المعنوي والصّوتي ، دط، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 1992م ، ص 307.
4. مصطفى صادق الرّافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة ، ط8، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، ص30.
5. ابن منظور، لسان العرب ، دط ، صادر ، بيروت ، لبنان ، سط24 ، مج8 . مادة (فصل) ص223.
6. نفسه ، ص225.
7. الزّركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج01 ، ص 53.
8. نفسه ، ج01 ، ص 53
9. الباقلاّني، إعجاز القرآن ، ص 27.
10. محمّد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ، ط2 ، المكتب الإسلامي، بيروت ، دار عمّار ، عمّان ، 1986م، ص 29.
11. كمال الدّين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنيّة ، ط1 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1999م .، ص 82 ، 83.
12. الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 01، ص 84.
13. ينظر: عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني_تحليل سيميائي مركّب لسورة الرّحمن ، ط01 ، دار هومة للنّشر والتّوزيع ، الجزائر، 2001م ، ص 274.
   - الاختلاف هنا ليس بالّذي يقبح في قدسيّة القرآن الكريم بل المقصود منه التنّوع بين (آنْ– آمْ – آرْ) وحتى الشواذّ مثل (بين – نونْ)
14. ينظر: عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، ص 275.
15. أحمد فتحي عامر، فكرة النّظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، دط ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة القاهرة، 1975م ، ص 219.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

16. ينظر عبد الملك مرتاض ، نظام الخطاب القرآني، ص 282.
17. نفسه ، ص 283 .
18. نفسه ، ص 283، 284.